المحـاضرة الثالثة: حلقة موسكـــــــو الأستاذة وفاء دبيش.

1- حلقة موسكو اللغوية:

نشأت "حلقة موسكو اللغوية "في موسكو وقد تأسست عام (1915م)، وكانت تهدف إلى
إنجاز دراسات لسانية وشعرية وعروضية وفولكلورية، وترى أن الشعر لغة في ممارستها
للوظيفة الجمالية، وكانت تطمح ، بحكم تخصصها اللغوي إلى توسيع مجالات الألسنية،
لتشمل الشعرية، وكان من أبرز أعضائها وقتها رومان جاكبسون Roman Jakobson،
والذي صار يغذي الحركة بدراساته، ثم عندما غادر موسكو إلى تشيكوسلوفاكيا عام
1920، نقل مبادئها معه إلى حلقة براغ اللغوية".
وظهرت معها حركة أخوى تدعى "أوبياز "Opojaz ، في بطرسبورج، وهي اختصار لعبارة باللغة الروسية تعني: "جمعية دراسة اللغة الشعرية"، وقد تأسست في عام (1916م)، وكان من أبرز أعضائها بوريس ايخنباوم Boris Eikhenbaum"، و"فيكتور شكلوفسكي viktor shklvskyو كانت هناك علاقات صداقة،وتقارب بين هاتين الحركتين، وبفعل اهتمامهما باللغة، اتجهتا إلى الاهتمام بالنص الأدبي نفسه.

ولا ينكر أحد من الدارسين اليوم أن جميع الاتجاهات اللسانية الكبرى تقر بأن اللغة تقوم بوظائف
كثيرة ، و أهم هذه الوظائف على الإطلاق وظيفة التبليغ والتواصل ، و لكن الذي نراه مهما في هذا
الصدد هو التعريف الضابط للوظيفة من كونها " المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنيوي (طبقة آلية)
للوصول إلى هدف في إطار التواصل البشري " [1]، أي ما يجعلنا ننظر إلى طبيعة المهام المسندة لعناصرها
و التعامل معها كنسق تواصل ، الأمر الذي يعود بنا إلى أشهر التصانيف في هذا الاشتغال.

2- الخلفية التاريخية لطلقة موسكو أو الشكلانيين الروس:

(1)ماري أن بافو - جورج إليا سرفاتي : النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية " - تر ، محمد الراضي - مركز
دراسات الوحدة العربية - ط / 2012 - ص : 202

وفي الحقيقة إن المقدمة السابقة لموضوع حلقة موسكو اللسانية مقدمة محدبة ومتحفظة جدًّا إلى درجة أنها إذا استمرت كذلك ستسقط بعض الحقائق الجوهرية التي يستوجب تسجيلها على البحث العلمي والنقدي ككل في الاتحاد السوفياتي وتحديدًا في روسيا القيصرية آنذاك، فبدءا من صبوح ا القرن الماضي إلى غاية سيطرة الفكر الرسمي على دواليب العقل وتروس الفكر السوفياتي أبن أصبح واضحا انزلاق الحقيقة وانسحابها من التحليلات العلمية المزعومة) في كثير من ميادين الفكر، وبعبارة أخرى كان التطبيق العقائدي Dogme للماركسية "Marxisme"حول موضوعات الأدب واللغات تدميرًا ممنهجا لكل نظرية علمية مبدعة وخلافة، ومع وصول الشيوعيين "Communistes" إلى رسميات الدولة مصحوبين بالاشتراكيين " Socialistes" أصبح الوضع احتكاريا مشفوعا بوسائل كثيرة للضغط الذي تفننت في امتلاكها، وهذا ما يبرر صعود بعض النظريات الأكثر "خلا "Tautologique في تاريخ العلم الحديث على نحو ما نقرأه في نظرية نيكولاي مار1934/1864) Mar. م) حول ما سماه حينها بـ "**نظرية اللغات اليافعية**

Japhétiques "وبغض النظر عن مضامينها وحدودها، وعن التجاوزات المنهجية والانحرافات العلمية التي وقعت فيها هذه النظرية، إلا أن الأخطر من ذلك هو صمت العلماء الذين كانوا على دراية تامة بضعفها وبعدها عن المطلوب إلا أنهم ساندوها وطالبوا بترسيمها، حتى سنة 1950م، يقول روبن هنري روبنز .... وأن تذكر المارية باعتبارها مجرد انحراف عقيم وتحذير مخيف للحد الذي يكن فيه للاستبداد الحديث أن يمجد بالوهم دون اعتبار الحقيقة.." [1]وهذا لا ينفي وجود أعمال وعباقرة حقيقيين باستطاعتهم تقديم منجزات عميقة وفي مختلف الميادين سيبدأ الالتفات إليها بدءا من 1960م، ولكن في هذه المرحلة الموحشة من تاريخ العلم في القرن الماضي كانوا قلة وهذه القلة "..منذورين لأن يطبقوا تحاليلهم على الوضع اللغوي في سيبيريا (مراكز الاعتقال) يبد أنه لابد من الإشارة إلى فرقة من الباحثين الشبان التي يعد باختين Mikhail Bahtineم1975/1895 ، اليوم أشهر ممثليهم، ومن بينهم أيضا فالنتين فولوشينوف 1895 الذي ترك كتابين (نقد) الماركسية (1927م) و(الماركسية وفلسفة اللغة 1929م) وفيها ينتقد سوسير وفرويد.." [2] وبالتالي فإن حلقة موسكو قد نجت من كل هذه العوامل بالرغم من ولادتها في أزمنة حرجة جدا يطبعه الغلو في نبذ الرأسمالية

(1)روبن هنري روبنز موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض عالم المعرفة الكويت دط 1990م، ص 300

(2)جان لويس كالفي، علم الاجتماع اللغوي، تر : محمد يحياتن، د ط، دار القصبة للنشر الجزائر، 2006م، ص 16

والغرق تماما في الماركسية المتطرفة وما نتج عنها من تقاليد فكرية غريبة جدا مثل تصنيف العلوم والآداب إلى علوم بورجوازية وأخرى تتناسب مع الطبقة العمالية الكادحة، وكان من سوء حظ الأدب والدراسات اللغوية أنها صنفا ضمن الفئة الأولى أي الطبقة المرفوضة، يقول جميل حمداوي "..ظهرت الشكلانية الروسية في سياق تاريخي ينبذ الرأسمالية ولا يعترف إلا بالاشتراكية العلمية التي تعود جذورها إلى كتابات ماركس وبيليخانوف وهيجل لوكاتش مع سعيهم الجاد نحو ربط المضمون الأدبي بالواقع الثوري والعملي المادي، ومحاربة جميع التيارات والنزعات البنوية التي تعني بالشكل على حساب المضمون، فقد حوربت الشكلانية الروسية أمدًا بعيدًا.. [1] ولكن لما خرجت هذه الحلقة إلى العلن وكان ذلك بدءًا من 1960م كما ذكرنا سابقا- أصبحت الأعمال الأدبية محمود الاهتمام ودائرة التركيز والتحليل من خلال فصلها عن العوامل الخارجية وعناصره، وبالتالي فإن موضوع الأدب ليس الأدب في ذاته وإنما هو الأدبية la littéralité ولأول مرة أصبحت الصياغة العلمية للمنظرين والنقاد هو: ما الذي يجعل عملاً ما عملاً أدبيا، وما الذي يميزه يكونه كذلك ؟

3-مبادىء الحلقة:

استلهم جاكبسون رفقة تروبيسكوي مبدأ النظام الذي أقره دو سوسير والقاضي بأن اللغة كيان مكتف ذاتيا في جوهرها نظام من العناصر التي تعمل من خلال الفروق بين لغة وأخرى دون إعارة اهتمام للأنظمة الصوتية اللغة شكل لا (مادة لكنهما انفتحا على دراسة تلك الأنظمة الصوتية، فقد اتجه الأول إلى دراسة التطورات التاريخية للأنظمة الصوتية اللغوية، وتعهد الثاني باعتماد مفهوم النظام المكتفي في تحليل النظم الصوتية في جميع الألسن البشرية.غير أن دراستهما بينت هشاشة المبدإ السوسيري؛ نظرا لأن النظام الصوتي ليس من طبيعة واحدة تماما، وإذا كان دوسوسير يرى أن لا شيء يربط المادة الصوتية سوى مبدأ الاختلاف، فإنهما يعتقدان بأن أصوات مثل (f)(d)(t) لا رابط بينها إلا كونها فونيمات متمايزة ما دامت تعمل على التمييز بين المعاني، في وقت أن (t)(d) تربطهما علاقة أكثر مما يرتبطان بالصوت(f) ؛ وذلك بالنظر إلى أن أعضاء النطق تأخذ نفس الوضع في نطقهما مع قيمة خلافية جوهرية هي الجهر في (D)دون .(T) وهما يطرحان مصطلحات مهمة في ضبط المفاهيم: (الارتباط) عندما تقوم علاقة مفهومة وواضحة بين صوتين أو أكثر و(القطع) عندما تنعدم تلك العلاقة، ولا تكون عندئذ إلا قيمة المفارقة والاختلاف لا غير (الفونيم الأساسي) ويقصدان به كل الخصائص المشتركة التي توحد بين صوتين أو أكثر بغض النظر عما قد ينفرد به صوت منها ، من الخصوصيات المسماة (علامة)؛ كالجهر الحاضر في (d) الغائب في

(1)جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2016م، ص 06

.(t)اقترح جاكبسون في إطار هذا التصور سلما هرميا للأصوات في كل اللغات الإنسانية، فصوت مثل (١) صوت غير معلم، وهو يخرج بأقل قدر من الإغلاق للمجرى، إلا أنه كلما أضفنا إليه درجة ما من درجات الإغلاق اللسان اللسان مع الشفتين الحنجرة بالنسبة للأصوات (الصامتة كان ذلك تعليما نطقيا مؤثرا على الصوت الأساسي (غير المعلم المتحرر المطلق). وتتمثل أعلى درجة لتمييز في أولى الكلمات التي يكتسبها الطفل (ماما بابا) التي تحمل تضادا بين أدنى السلم وأعلاء (الصائت المتحرر في مقابل الصامت الشفوي الانفجاري(، كما أن صعوبة اكتساب أصوات معينة أو سهولة أخرى راجع عند جاكبسون إلى العقل ومدى اكتمال بنياته لا إلى اللسان بوصفه عضوا مكتملا، ونظير هذا مهارتي القراءة والكتابة، فالأمر إذن يتعلق بسهولة إدراك العقل لأصوات دون أخرى أو بصعوبته، وقد أشار إلى أن رتبة صوت معين ضمن السلم الكوني للاكتساب الصوتي عند الأطفال يتطابق مع درجة توزيعه بين لغات العالم، فهم يتعلمون الفوارق القوية قبل الضعيفة، وعليه فإن اكتساب الأصوات الاحتكاكية (فوارق ضعيفة) يعني بالضرورة اكتساب القطعية الموقوفة الانفجارية .أما عند الفقدان بسبب مرض الحبسة الكلامية فالأمر يأخذ مسارا عكسيا، فتكون الأصوات غير المعلمة أكثر ثباتا من المعلمة التي يسرع إليها التأثير، والحال نفسها بالنسبة إلى الأكثر والأقل تعليما .يعتقد جاكبسون بأن ما يصيب أصوات اللغة في تاريخها الطويل يرجع إلى سبب رئيس يقبع خارج البنية وهو (الوظيفة)، وهو ما يعد امتدادا لرأي سقراط في عمل اللغات، كما عرضه أفلاطون في محاوراته، وبخاصة محاورة كراتيليس .وعندما ينص جاكبسون على أن اللغة في الواقع أداة انتظمت بقصد التعبير عن الأفكار،يكون بذلك قد فتح الباب لتجاوز تحكمية الوظيفة إلى مجال الأساليب، وخاصة ما يعرف بالأسلوبية التعبيرية التي أرسى دعائمها شارل بالي، لكن الإشكال الذي ينهض أمام ما يذهب إليه جاكبسون هو دعوته إلى نسبة التغيرات إلى الوظيفة وإلى نفي أي قصدية تقف وراء ذلك التغير، وهذا يشبه إلى حد بعيد فكرة اليد الخفية التي قال بها آدم سميث في نظريته في الاقتصاد كما تبني جاكيسون في محاولة معرفة أسباب التغيرات اللغوية الصوتية مقاربة الحمل هي الأخرى إشكالا واضحا، وذلك عندما قال بأن العلامة اللغوية تاريخية سكونية في الوقت نفسه، وهو يقصد استصحاب التاريخ في فهم الحالة الراهنة التي ليست سوى سلسلة من التغيرات في التاريخ، حتى استقرت على ما هي عليه.

4- رومان جاكبسون ووظائف اللغة :

لقد وضع رومان جاكبسون (1896 (1982) نموذجا للتواصل اللغوي أراد من خلاله إبراز وظائف
اللغة مستندا في ذلك إلى خلفياته الوظيفية والبنيوية و من علوم الاتصال فكان أنموذجه تواصليا

بنيويا . ، و حدد عناصر التواصل فيه بـ : المرسل ، المرسل إليه ، المرجع ، القناة ، النسق (الوضع) الرسالة.
ومن هذا التصور حدد مجموعة الوظائف المعروفة : الوظيفة الانفعالية (التعبيرية) ، المرجعية(الإحالية) ، التأثيرية (إقامة التواصل ، الشعرية، الندائية ، الميتالغوية ويميز رومان جاكوبسون ست وظائف لغوية تنبثق عن مكونات للنموذج التواصلي هي [1]

- **الوظيفية المعرفية" Cognitive :الوضعية" أو "المرجعية"**

تتفرع هذه الوظيفة عن الشكل التواصلي المتمثل في "السياق". ويمكن أن تتحقق في اللغة اليومية
واللغة العلمية، لأن الرسائل في هذه الحالة تعتمد على المواضعة اللغوية المشتركة بين أفراد الجماعة
اللسانية، كما أن الغرض من التواصل يتمثل في الإبلاغ ذي الطبيعة النفعية وما دامت الرسائل اللفظية
لا تتنوع تبعا لهرمية الوظائف، فإن وظائف أخرى تتواجد مع هذه الوظيفة المهيمنة في هذه الرسائل.

- **الوظيفة التعبيرية" Expressive الانفعالية" (المرسل):**

وتتمثل في الرسائل التي تركز على الحمولة الانفعالية والوجدانية، ومن ثم فإنها ترتبط بالمرسل، أي
تقدم انطباعه وانفعاله تجاه شيء ما، وترتبط هذه الوظيفة ببنية تعبيرية خاصة على مستوى النحو
والصوت والمعجم، ويترتب عن هذا تباين بين ظواهر لسانية متنوعة. فعلى المستوى الصوتي مثلا ترقى
الظواهر الفيزيولوجية والعناصر التمييزية إلى مرتبة العنصر الاختلافي الذي يعبر عن الانفعال، وهكذا
فإن الاختلاف كما يذكر جاكوبسون si و si اختلاف من طبيعة انفعالية في اللغة التشيكية، ينبغي

---

[1]ينظر تفاصيل هذه الجزئيات ضمن المحاضرة (2) عن رومان جاكبسون، نقلا عن : نعمان بوقرة : المدارس اللسانية المعاصرة . عبد
القادر الغزالي : اللسانيات و نظرية التواصل:
https://elearning univ-eloued.dz/mod/resource/view.php?id=19663

تمييزه عن الاختلافات الأخرى - الفونيمية مثلاً - إن لهذه الوظيفة علاقة بأشكال وأنماط الإنشاء التي
تتحقق بها العبارة.

.الوظيفة الإفهامية Conative (المرسل إليه)

تكتسي نوعية الإبلاغ الموجه للمستمع صبغة الأداة التمييزية التي تطبع الرسائل بدلالات خاصة
واتسمت مظهراتها وبناها التركيبية والنحوية بخصيصات محدّدة، تعين تعالق مكونات الجملة والخطاب
وأقسام الطبقات التعبيرية، فالوظيفة الإفهامية التي تتصل وتركز على المرسل إليه تحدد لنفسها إطارا
خاصا للتبادلات العلائقية والمفصلات اللسانية التي تتفاعل بداخلها فهي تجد تعبيرها النحوي: "الأكثر
خلوصاً في النداء والأمر اللذين ينحرفان من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فنولوجية"

.الوظيفة الانتباهية Phatique (إقامة الاتصال)

تهدف بعض الرسائل، كما يؤكد ياكوبسون إلى إقامة التواصل والحفاظ عليه، وذلك باستخدام
أشكال تعبيرية وسلسلات لفظية في لحظات معينة، قصد التأكد من استمرار التواصل وصحة تمثل
المستمع مضمون الإبلاغ الحقيقي، وتأخذ هذه الوظيفة أبعاداً تشكيلية توظف لأغراض فنية توفرها
الرغبة في إقامة التواصل وتحقيق جمالية تتفاعل مع الحمولة المعرفية الخاصة

.الوظيفة الميتا لسانية) Metalinguistique (السنن)

يمكن أن نميز هذه الوظيفة بين مجالين لغويين المجال الأول وتمثله اللغة الواصفة المعتمدة في
الدراسة العلمية التي تتخذ من اللغة موضوعا لها"، أما المجال الثاني فيرتبط بعمليات الشرح التي تتخلل
التواصل في الكلام اليومي وهي ترمي إلى تحقيق درجة قصوى من التمثل لدى المستمع.

•الوظيفة الشعرية Poetique الرسالة

تركز الرسائل التي تهيمن فيها هذه الوظيفة على الرسالة ذاتها وينبه رومان ياكوبسون إلى أن هذه
الوظيفة لا تقتصر على الشعر وإنّما ينبغي دراستها في أشكال الرسائل اللفظية الأخرى وكذلك غير

اللفظية وتعمل هذه الوظيفة على إبراز قيمة الكلمات والأصوات والتراكيب ... في ذاتها، مكسبة إياها
قيمة مستقلة بالإضافة إلى هذه الوظائف اللغوية نلاحظ أشكالا تعبيرية أخرى ترتبط إما بالأجناس التعبيرية أو بالطبيعة الميتولوجية لأنماط عدة من الاتصالات إن هذه
الوظائف هي محاولة تحليلية ونقدية اكتشف بواسطتها رومان جاكوبسون تنوعات لغوية غالبا ما تم الخلط بينها أو كانت مجهولة، فهذا الاكتشاف يفتح في وجه اللسانيات أفاقاً رحبة لدراسات متعمقة تميز خصوصيات الرسائل اللفظية وتنوعاتها .
وإن كان هذا الطرح تلقاه الناس في عصره بالقبول والإعجاب ، و لكن بعد ذلك و في ظل ظهور
نظريات السياق و التداول تبين أن هناك ثغرات، فالنموذج المقترح يحتاج إلى تعديل و إعادة نظر و
صارت هذه الوظائف غير مقنعة.
وأهم ما قيل عن ذلك أنه بهذا الطرح يتم التعامل مع اللغة بمعزل عن أغراض التخاطب ، و أصبح من
جملة ما قدم من نقد لمشروع جاكبسون هو النقد المعرفي الموجه للبنيوية في عمومه ، فمن ذلك اقتراح
(روبول) في العدول عن تسمية الوظيفة الانفعالية) بـ (الوظيفة التعبيرية) على أساس أن الانفعال أقل
من التعبير فالتعبيرية أشمل من ذلك ، كما يرى من وجهة نظر أخرى أن الوظيفة المرجعية) يجدر بها
أن تكون التسمية) لأن هناك بعض التعابير التي لا مرجعية لها [1].
وغيره أيضا من النقود الموجهة كالذي كان من صميم رواد نظرية الأدب في " صحيح أن رومان جاكبسون قد عرض في مقاله المشهور (اللسانيات و الشعرية سنة 1963 الوظائف المختلفة للغة في إطار نظرية التواصل ، غير أنه لم يعر اهتماما كبيرا لدور القارئ في عملية التواصل ، سواء في صلب النظرية أو في تحليله لنصوص الشعر ، لم يكن يثيره ما يمكن أن يلحق تأويل نص وتقويمه من تغييرات بسبب الظروف التاريخية المتغيرة "[2] ، ومنه أيضا ما كان لنقد نموذج خطاطته الوظائفية ، ففي هاته الخطاطة " يمكن أن نؤاخذه على عدم تأمله في مقومات كافية ، ويحاول بعد ذلك تركيب الخطاطة حتى تصبح بطاقة أكثر استيعابا المجال اهتمامها" [3].

---

[1] -13عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية - دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت - ط / 2004: ينظر تمهيد صاحب الكتاب : ص : (14-11)
[2]محمد العمري : نظرية الأدب في القرن العشرين - دار إفريقيا الشرق / المغرب - طر/ 2004 - ص : 32

[3]ك اوريكيوني : فعل القول من الذاتية في اللغة - تر : محمد نظيف - دار إفريقيا الشرق / المغرب /ط 2007– ص18

الخـــــــــــــــــــاتمة:

بالرغم من الظروف الحرجة جدا التي نشأت فيها حلقة موسكو وجماعة الأبوياز ومختلف التفرعات التي يجمعها النقاد تحت تسمية "الشكلانية الروسية" وبخاصة مع السياق المعرفي الماركسي الذي كبح جماع العلماء والإبداع والفن حينها، إلا أنها قد استطاعت بفضل شجاعة وإقدام علمائها وباحثيها شق طريق أصيل في البنية العقلية للقرن الماضي، وبعد جاكبسون لوحده اتجاها ومدرسة خاصة ليس لأنه الرجل الأكثر شهرة في العالم وفي ميادين مختلفة، وإنما نظير جهوده العميقة والمسهبة في تطوير جملة من النظريات "نظرية التواصل" التي أدت على علم جديد وهو "اللسانيات التواصلية" ونظرية "الوظائف اللسانية" التي ساعدت علماء التداولية، ونظرية "الملامح المميزة" التي أدت إلى قيام الفنولوجيا و اللسانيات التوليدية التحويلية" وإعادة توجيه اللسانيات الأمريكية ووضعها في السكة المناسبة التي أدت إلى نتائج مثيرة بحق، فضلا عن الجهود في علمية(Scientifisation) الأدب من خلال أنسقته وإظهار عناصره وخصائصه فأصبح علم الأدب علما ممكنا من خلال القيم المهيمنة والأدبية والشعرية، ويضاف إلى رصيده إنشاء المدارس" موسكو، براغ، نيويورك" وترك للأجيال اللاحقة ،من الكتب والمقالات أهمها: بنية الصوت في اللغة (1929م)، بنية اللغة ودورها في الثقافة (1956م) ، النظام الصوتي للغة الروسية (1980) ، أساسات اللغة (1989م).